

فقد تمتع الكحول منهم بعد مقاطعة النارجيلة من العافية ونضارة الصحة بما لم يمتصوا به سفي
شبابهم . ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ترفع للشراب من عذارى وهنزوجات عن الخضوع
لهذه العادة الضارة . واحقن بالذكرو جبهة بيرونية أوصلتها قوة النفس الى ان حرقت بيتها
من عبودية النارجيلة فأحر يوجهها الناس ان يتفقوا ويحرقوا انفسهم ويوتهم من الرق
فيشبههم العوام وتخرج الأذان حينئذ من اصوات الشكوى من قسوة المخكرين وليدعوم
يرفون سعر التبناك ما شاؤوا ولسان الحال يشدهم " وتراه ارض ما يكون اذا غلبه اقول
وما حصول هذا بالامر المستحيل وان كان دون الوصول اليه مجاهدة الطباع الخاضعة لسلطة
العادة . فوريك لو لم يكن بازاء للصدود عن النارجيلة والسيكارة الالتهمة التخلص من استبداد
المخكرين لكنني به كفيلاً بالمجادرة الى اتفاق الخواص والعوام على تركها والاعتراض عنها . هذا
وليعلم من يقدمون على استئصال هذه العادة ان اقلام الاخباريين والمؤرخين تنشر الشاء عليهم
وتبث مدائحهم وتخلد ذكركم حتى يظفروا بمجد اعظم الرجال احياء وامواتاً

سعيد الخوري الشرتوني

عمران دمشق

« معايدها والجامع الاموي »

يرى المتفلسف في عمران المشرق ان اهله قلما يحفلون بتتميق المباني العامة وتزويدها الا ما
كان منها تحت اسم الدين كالمعابد والمساجد والتكايا والزوايا وان تكن الديانة الاسلامية
مثلاً لا تميز الزخارف ولا تبيح اقامة مساجد تشغل ذهن الداخل اليها عن العبادة القيمة التي
يراد بها حضور القلب والخضوع والخشوع ولذا عد من محدثات البدع رواه صنعة بناء المساجد
والاسراف في الاتفاق عليها وتعددها لغبر حاجة ماسة . فقد كان في المدينة صدر الاسلام
مسجد جامع واحد فلقرض ان دمشق مع كثرة سكانها وما يبيح اليها كل جمعة من سكان
القرى يزيد عشرة اضعاف سكان المدينة كان الاخرى ان يكتفي بعشرة مساجد جامعة ولكن
هي الاسماء عليها يتهالك الاقوام حرسين وفيها يتنافس البشر غير ما فوردت
ومن ثم لا تسل عن اهل الاديان اذا خرب لم مسجد او حرقت زاوية فقد تقوم قيامتهم
كأنما نقوض الدين يرموه او أخذ الملك بامتو فيسابق خاصتهم قبل عامتهم الى إعادة ما دثر

وتجديد ما يلي اذ يُجِيل لم ان مجد الامم متوقف على اظهار شعائر دياناتها وعلى نسبة معايبتها
يرضى عنها صديقها ويخافها عدوها

مرت القرون ودمشق بفضل ما تقدم من الدواعي محنظنة بكيان معايبتها لم تُصَب بما
أصيب به سائر الأثار من الهدم والهدم . ولا بن عبد الهادي رسالة كتبها في اواخر القرن
التاسع اتى فيها على ذكر القسم الاعظم من مساجد دمشق فكانت زهاء الف مسجد . هذا ولم
يستقص اسماء كثير من المساجد في هذه الحاضرة وضاحتها مما يناهز خمسمائة قال فناهيك
ببلدة مبخوني وادبها فقط على زهاء الف وخمسمائة مسجد واما ما هو محيط بمعايبتها مما وراء جبالها
فوه كثير للغاية

اخى الدهر على معظم هذه المساجد الآن اما لنزوح السكان من جوارها او لتعطل
اوقافها فضاقت النائدة التي بُنيت لاجلها مع ان العقل والشرع بقضيان بيع المساجد
والاستعاضة عنها بمكان آخر فيما اذا قل الانتفاع بها او دعت الضرورة لازالتها وما يرح الناس
ذهاباً مع الاهواء ودفاعاً عن الامناء يفضلون بقاء القديم على قدمه كما هو الحال بعدة جموع
في حارقي النصارى واليهود وغيرها بدمشق وخير الجامع ان يباع ونبي بئنه مدرسة من ان
يخرب ويمسي مستودعاً للنجس والرجس . وكمن مصلى بلا منارة ومنارة بلا مصلى . ولطالما
استفتي الفقهاء بهذا الشأن فراعى فريق الرأي العام في ثوابه وحكم آخر بالحق فشغفه رأيه كما
جرى لما أُريد بناء المأذنة الملصقة بالبيعة المرمية في القرن الحادي عشر

في دمشق اليوم ٢٤١ مسجداً وكان بها خمس عشرة كنيسة لاهل الذمة صلحوا عليها
كما نقل عن عمر بن عبد العزيز وذكر في تاريخ دمشق . وقد عدت في العهد الذي
اعطاه خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها . اما عدد الكنائس الآن فسبع عشرة كنيسة
لطوائف مختلفة واليهود كنائس عديدة يكاد يكون لكل غني منهم كنيس خاص في داره
والامم المشهورة بذلك تربي على عشرة

رأس معايد دمشق ورئيسها وثالث جامع في الاسلام الجامع الاموي المشهور في كل
العصور الذي يباهي به اهل هذه الحاضرة غيرهم من سكان البلدان ويمدونه من مفاخرهم
وماثرهم اخذاً بكلام الوليد في قوله لقد رأيتكم يا اهل دمشق تفخرون على الناس باربع
خصال بئانكم وهوائكم وفاكبتكم وحمائمكم فاحببت ان يكون مسجدكم الخامس
شرع الوليد في بنائه سنة ٨٧ وفرش بالرخام الابيض الختم بالازرق وحلي سقفه وجدرانته
بفضوص الذهب المروقة بالنفساء خلط بها من غريب الاصبغة ما يدهش الابصار بوميضه

و يصعد واحتفل من وراء الغاية بتتميمه وتجيده

هذا المسجد عريق في القدم أصيل في إقامة الشعائر الدينية أتى عليه كما روى بعض المؤرخين ربح من الزمن وهو المسمى بالصابئة يصلون فيه ثم صار في أيدي اليونانيين ثم لليهود وملوك من عبدة الاوثان ثم للنصارى ثم للمسلمين . قال سيد بليون مسجد قريظة بني على شكل مسجد دمشق كما ان مساجد الشام وفلسطين ومصر مبنية على شكل الكنائس التي قال المؤرخ اوزبيوس احد اهالي قيصرية في سيرة السلطان قسطنطين انها ذوات الجوامع واواوين ونساقى ومسكن للقسس بديل ان في تلك المساجد ما كان بضعة البناؤون من الخافقي المزدق باشكال من حصنات منوع الالوان . ولعل ما هو شائع على الالسنه من ان في هذا الجامع رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام جاء من تسمية المسيحيين له باسم يحيى عليهم يوحنا الدمشقي تبركاً والأفليس في التاريخ ادنى اشارة الى ان يحيى قُتل في دمشق او بيروت او صيداء او نقل الى احدى هذين المدن

ولما فتحت دمشق كتب عمر الى عامله ابي عبيدة كتاب امان واقراً ما بأيدي النصارى اربع عشرة كنيسة واخذ منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مار يوحنا بحكم ان البلد فتحه خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف واخذت النصارى بالامان من ابي عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على ان جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفها عنوة فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقية فجعلها ابو عبيدة مسجداً وكانت قد صارت اليه اماره الشام وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي في القبلة فيصرف النصارى الى جهة الغرب والمسلمون الى الشرق وكان لا يستطيع اهل الانجيل ان يخرجوا في قرية تو بكناستهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلاً للصلاة كما اخذت اصواتهم ترفع في صلواتهم احب الوليد ان يقدم عن المسلمين وطقسهم في استصفاء المعبد كله

روى ابن عساكر ان المغيرة بن عبيد الملك دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك بن مروان فرآه مغموماً فقال له يا امير المؤمنين ما سبلك قال فاعرض عنه ثم انه عاوده فقال يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لتدخلها الى المسجد فأبوا علينا وقد اقطعهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالا فامتعروا . فقال له المغيرة يا امير المؤمنين لا تغتم قد دخل خالد بن الوليد الى دمشق من الباب الشرقي بالسيف ودخل ابو عبيدة بن الجراح من باب الجابية بالامان فاستمسكوا الى ابي موضع بلغ

السيف فان يكن لنا فيه حق اخذناه وان لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة
فدخله في الجامع. فقال له فرجت عني فتولى انت ذلك . قال فتولاه فبلغت المسحة الى سوق
الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة اربعة اذرع وكسرت بالذراع الفارسي فاذا باقي الكنيسة
قد دخل في المسجد فبعث اليهم فقال هذا حق قد جعله الله عز وجل لنا لم يصل المسلمون
اليه في غضب ولا ظلم فقالوا يا امير المؤمنين قد اقطمتنا اربع كنائس وبذلت لنا من المال
كذا وكذا فان رأيت ان تفضل به علينا. فامتنع حتى سأله وطلبوا اليه قال فاعطاهم كنيسة
حمدين (لعلمها حمديس) وكنيسة اخرى جنب سوق الخبز وكنيسة سريم وكنيسة المصلبة
ثم ان الوليد بعث الى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة واجتمع النصارى فقال للوليد
بعض الاتساء والفأس على كنفه وعليه ثياب سفرجلي وقد شدد بدور قبائه اني اخاف عليك
من الشاهد يا امير المؤمنين قال وذاك ما اضع فاسي الا في رأس الشاهد وهي صورة في اعلى
الكنيسة ثم انه صعد فكان الوليد اول من وضع فأسه في هدم الكنيسة وسارع الناس في
هدمها وكبروا ثلاث تكبيرات

قيل ان اثني عشر الف مرخم اشتغلوا في ترخيم الاموي وان الوليد احتاج الى صناع كثيرة
فكتب الى ملك الرومان ان وجهه الي بمائتي صانع من بلادك فاني اريد ان ابني مسجدا لم
بين من مضي قبلي ولا من يكون بعدي مثله فان انت لم تقبل غزوتك بالجيوش واخرت
الكنائس في بلدك وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وكنيسة السيدة ومائر آثار الروم
في بلدي. فاراد ملك الروم ان يثنيه عن بنائه ويضعف عزمه فكتب اليه لئن كانت ابرك
فهمها فاعفلها فانها لوصمة عليه ولئن كنت فهمتها وغيبت عن ابيك فانها لوصمة عليك وانا
موجه اليك ما سألتك فاراد ان يعمل له جوابا تجلس لاعتقالات الرجال في خطبة المسجد يفكرون
في ذلك فدخل عليهم الفرزدق فقال ما بال الناس ازاهم مجتمعين حلقا فليل له السب فقال
يا امير المؤمنين انت جعلت احباك سليمان القائم باسم العارة والجواب بنص القرآن ففهمتها
سليمان وكلا آيتنا حكما وعملا . فسرى بذلك عنهم

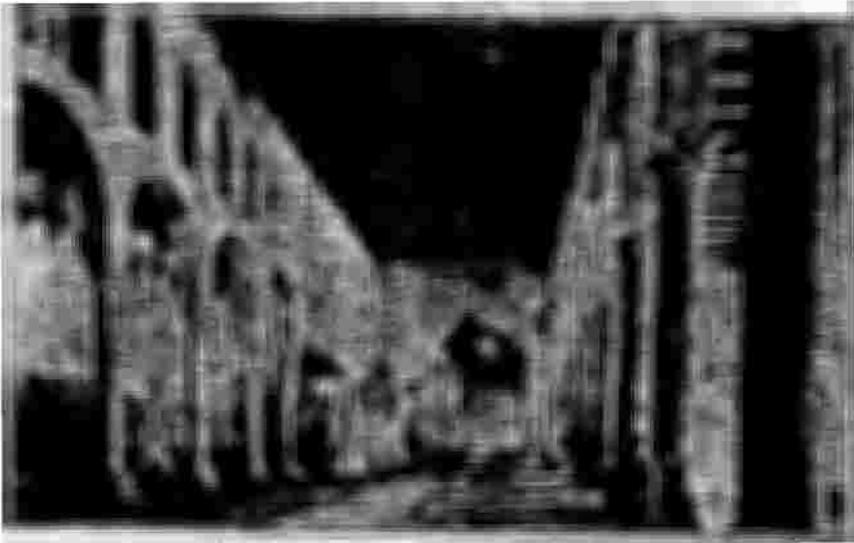
ولما عمر الوليد الجامع قال له يكر اولاده يا ابنت انعتب من يأتي بعدك في طين استخند
فقال يا بني نرضف فطلب الرصاص من سائر الآفاق فكل اني بما عنده وات كورة الاردن
اكثرهم في ذلك وطلبوا الرصاص بكل ممكن حتى في النواويس القادية فلما نددت مخاضه حار
الوليد في صبور امره فدل على امرأة من بنات اكابر دمشق ان عندها من الرصاص ما يكفي
القطعة الباقية فارسل الوليد اليها يسألها بيعه فابت فاضف لها ثمنه فابت فاعطوها عوضه

قصديراً ثم حديداً ثم فولاذاً ثم نحاساً وما زالت تأتي فقال له ولده أكله بنفسه فقال يا بني
 بعدنا توخذ الفضة ونسب الى العجز عن أكاله فقال اعطوها زنته ذهباً فوضيت وباعته فلما اتته
 ارسلت المرأة اليه المال وقالت لي علم امير المؤمنين اسعده الله اني خرجت عن هذا الرصاص
 لله تعالى وانما تمسكت على امير المؤمنين حتى اعلم امره هل يأخذ ذلك مني غضباً وقهر في عليه
 ام اجتهاده لله تعالى يوصلني الى ما اريد في ثمنه وقد علمت ان همته ومراده رضا الله ورسوله
 فلما وصل المال والقاصد الى الوليد عجب من ذلك وسأل هل هي عازبة ام متزوجة فقيل بل
 عازبة فتزوجها وعمرت بالمال المنارة التي على باب السلسلة ورضعتها بالمعادن فسميت مأذنة
 العروس . رواها ابن عساكر وتابعة عليها غير واحد من المؤرخين

وبالغ مؤرخو العرب في كثرة ما اتفق على الجماع الاموي وما اظن ما قاله غيره في الواقعة
 بعيد فمن مهاجر وكان على بيت المال للوليد بن عبد الملك انهم حسبوا ما اتفق على
 الكرمة التي في قبلة المسجد فكان سبعين الف دينار وحسبوا ما اتفق عليه كل واحد فكان اربعمائة
 صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار . قال ابو قصي واتي الوليد حرسية فقال يا امير
 المؤمنين ان اهل دمشق يجهلون بانك انفقت الاموال في غير حقها فنادى بالكلية جامعة
 وخطب الناس فقال الا انتم بلعتم حرمي انكم تقولون ان الوليد اتفق المال في غير حقها الا
 يا عمر بن مهاجر قم فاحضر ما قبلك من الاموال من بيت المال قال فانت البغال تدخل بالمال
 وتصب في القبة على الانطاع حتى لم يبصر من بالشمال من في القبلة ولا من في القبلة من في
 الشمال ونصبت الموازين فوزنت الاموال فقال لصاحب الديوان احضر من قبلك من يأخذ
 رزقنا فوجدوا ثلثمائة الف الف في جميع الامصار وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عندهم ثلث
 مئتين ففرح الناس وكبروا

وكذلك بالغ السباح في وصف اعاجيبه بما يوم ان ما قالوه اقرب الى الباطل منه الى
 الحق خصوصاً عند شرفي لم يزر بلاد الفرنجة لهذا العهد ولم ير غير بلاد المخطلة فقد روى
 ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ في وصفه ان طولها من القرب الى الشرق مائتا خطوة وهي ثلثمائة
 ذراع وذراعها في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وهو
 تكسير المسجد النبوي غير ان طولها من القبلة الى الشمال . وبلاطانها المشقة بالقبلة ثلاث
 مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامت البلاطات على
 ثمانية وستين عموداً منها ثمانية ارجل تغللها واثنان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصخرة
 واربعه ارجل مرخمة ابلح ترخيم مرصعة بفضوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتم وصور

محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شهراً ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته ستمائة وعشرون خطاً وعدد قوائمه سبع واربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سوار وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلاً ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو وعدد شماساتها الزجاجية المذهبة



(فناء الجامع الاموي من الشرق الى الغرب)

الملونة اربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة تصورها ومعرابها من اعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة يتقد ذهباً كله قد قامت في وسطها محاريب صغار متصلة بمجدارها تحفة سويريات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها احمر كأنها مرجان لم ير شيء اجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهي اول مقصورة وضعت في الاسلام . ثم ذكر في فناء الجامع عجائب من الاقبية والابنية والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه . والمسجد اربعة ابواب باب قبلي يعرف باب الزيادة وباب شمالي ويعرف باب الناظمين — الناطقين — وباب غربي يعرف باب البريد وباب شرقي

يعرف باب جيرون وهو اعظمها وله وللغربي دهاليز مشعة يُفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها

قال وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صفر وقد فُتحت ابواباً صغاراً على عدد ساعات النهار وديرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من في بازيين من صفر قائمتين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر اليازيين يمدان عنقهما للصنجين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب فيخيل الاوهام سحراً فتند وقوعهما يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينقل الباب تلك الساعة بلوح احمر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتلقى الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاولى ولما بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المعطف على الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس مخزومة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وانفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة حمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل. وقد وكل بها من يدبر شأنها فيمهد فتح الابواب ويسرح الصبح الى موضعه وهي التي تسمى الميقاتة

وروى ابن عساكر ان المسلمين لما دخلوا دمشق وقت فتحها كان اسم باب الجامع القبلي باب الساعات لانه كان هناك ساعات يُعلم بها ما يمضي من النهار عليها صور عصافير وحية وخراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية وصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصة في الطشت. وانه كان في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق الباطين فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان في السقف طلسم عملتها الحكاه مما يلي الحائط القبلي فمنها طلسم للسنونو لا تدخله ولا تعشش فيه ومنها لا يدخله غراب ولا فار ولا حيات ولا عقارب ولا عنكبوت ولا يركبه غبار ولا وسمخ ولا غير ذلك

وعلى اثر هذه الساعات وهذه الطلسم يجدر ذكر البسيط الذي اقامه الفلكي الشهير ابن الشاطر المتوفي سنة ۷۲۷ موقت هذا الجامع والبسيط اختراعه قديم ينسب اليونان الا ان العرب زادوا عليه كثيراً وهو عبارة عن حجر مستطيل تعرف فيه بخطوط وأشكال الشمس في اي برج هي وفي اي درجة من ذلك البرج ويعرف فيه الماضي من الشمس والباقي للزوال والماضي من الزوال ايضاً والباقي للغروب ويقال له الدائر وفضل الدائر والماضي من طلوع الفجر ويعلم منه قوس العصر والباقي للغييب الشفق والباقي الى الفجر الآتي وهذا الذي زاده الاستاذ

شمس الطنطاوي علي ابن الشاطر ورسم فيه شكلاً معيناً تعلم منه الطالع والمطالع
 نقادهم العهد علي بسيط ابن الشاطر فوقع فيه بعض فروق في الاوقات فطلب متولي الجامع
 وغيره من العلماء الي الشيخ الطنطاوي سنة ١٢٩٤ ان يصلح ما وقع فيه فاصححه فلما ارادوا
 وضعه في مكانه وقع الحبر والشق شطربن فسموا ذلك الي الشيخ لحضور احد تلامذته
 اذ ذلك فاضطر الشيخ ان يبرئ نفسه وراح الي داره بصرف حولين كاملين ليكمل بسيطاً
 يحاكي به بسيط ابن الشاطر فعمله علي قلة الكتب لديه وفقدان ملكة هذا الفن لكن معاصريه
 والمعاصرة كما قيل حرمان ابوا الا ان يتنصوه ويضيموا تعابيه شأنهم مع غيره من رجال الجدل
 فاشاعوا بين العامة ان بسيطه لا يصلح للتوقيت وها هو الآن ملقى في منارة العروس يكاد
 لا ينظر اليه يرقب الزمن ليظهر ويعمل به ويقدر فضل صاحبه . وقد عمل ايضاً بسيطاً ثانياً
 علي الافق المرئي وضعه في جامع الدقاق بالميدان قرب باب دمشق الجنوبي
 ولا عجب اذا لقي الطنطاوي ما لقي واصبح غير مقدور قدره فقد امتحن ابن الشاطر في
 القرن الثامن بمثل ما امتحن به ولم تعرف له فضيلته الا بعد موته باعوام دمشق غامطة حقه
 وآثاره تنشر في البلاد ولسان حاله يقول

لا عيب لي غير اني من دياركم وزامر الحلي لا تطرب مزامره

نقل صاحب بحاسن الشام ان ارض الجامع كانت مفروشة بالفصوص المزمكة بالذهب
 المسماة بالفسيفساء وان الرخام كان في جدرانها سبع وزرات ومن فوقه صفات البلاد وما فيها
 من العجائب وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب ثم فوق البلاد بيننا وشمالاً وما فيها
 من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك وجعل سلاسل المصابيح من نحاس محلي بالذهب ورب
 له من الشموع ما يوقد منه في اماكن مختصة واصطنع في صحنه مجامر علي اعمدة يرسم الجيور
 ووكل بذلك خدمة لا يفترون ليلاً ولا نهاراً حتى كان يشم روائح الجيور مسيرة فرسخت
 (كذا) وسبك له سرجاً من نحاس كل سراج يوضع فيه قنطار زيت وجعل علي كل باب
 سراجاً وجعل في شراب الصحابة حجراً من بلور وقيل بل درة لا قيمة لها وكانت اذا اطننت
 المصابيح يقوم نورها مكانها (كذا) وان الامين بن الرشيد ارسل الي صاحب دمشق ان يسيرها
 اليه فارسلها وقيل انه لما رآها امر بردتها قال ابن عساكر ثم ذهبت الايام بعد ذلك وجعل
 مكانه برنية من رخام وقد رأيتها ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيء
 وروي شيخ البروة انه كان يحمل من زيت نابلس الي جامع بني امية في كل سنة الف
 قنطار بالدمشقي وقال ايضاً انه يوقد فيه ليلة النصف من شعبان اثنا عشر الف قنديل بخمسين

قنطاراً من الزيت غير ما يوقد بالمدارس والمساجد والترب والخوانق والربط والمارشانات .
 وذكر ابن بطوطة ان فوائد مستغلات الجامع ومجايبه نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباً في
 كل سنة وذكر ايضاً انه كان بهذا الجامع حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأون
 كتب الحديث على كراميه مرتفعة وقراء القرآن يقرأون بالاصوات الحسنة صباحاً ومساءً
 ورو جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سواريه المسجد يلقي
 الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الاواح تنزيهاً له وانما يأخذونه تلقيناً ومعلم الخط
 غير معلم القرآن

هذا اصل الجامع وبعض ما كان فيه من العجايب وفي تواريخ دمشق ان النصارى رفعوا
 الى عمر بن عبد العزيز في خلافته ما يهدم من عهد ابي عبيدة الجراح من ان كنائسهم
 لا تهدم ولا تسكن وان الوليد اخذ كنائسهم بغير حق قهراً فلما رأى عمر ذلك منهم دفع لهم
 مالا يرضيهم به حتى بلغ مائة الف فابوا فكتب عمر الى محمد بن سويد النهري ان يدفع اليهم
 كنائسهم او يرضيهم سيف ذلك فلما وصل كتاب عمر الى دمشق اعظم الناس ذلك وفيهم
 يومئذ بقية من اهل الفقه فتاورم محمد بن سويد فقالوا هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا
 وقد اذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم ويماد كنيسة فقال رجل منهم هنا مسئلة لهم كنائس
 عظام حول مدينتنا وهي ديرمران والكنيسة يباب توما وغيرها من الكنائس ان احبوا ان
 نعطيهم كنائسهم فلا يقروا حول مدينة دمشق ولا بالقوطة كنيسة الا هدمت او بقي لهم
 جميع كنائسهم وبتروا هذه ونسجل لهم بذلك سجلاً فدعاهم محمد بن سويد وعرض عليهم
 ذلك فقالوا امهلونا ننظر في امرنا فتركهم ثلاثاً وطالبهم فقالوا نحن نأخذ الذي عرضته علينا
 ونكتب الى الخليفة اننا قد رضينا بذلك ونسجل لنا الخليفة من قبله سجلاً منشوراً بأمان على
 ما بدمشق والقوطة من كنيسة ان تهدم او تسكن قالوا نعم فكتب الى عمر بن عبد العزيز
 بذلك فسرته وسجل لهم بذلك واشهد شهوداً

روى ابن عساکر عن محمد بن مهاجر قال سمعت عمر بن عبد العزيز ذكر مسجد دمشق
 فقال رأيت اموالاً اُنققت في غير محلها فانا مستدرك ما استدركت منها فرائده الى بيت المال
 اعمد الى هذه السيفسياه وهو النقش المنقوص والرخام فالقلعه واتزع تلك السلاسل واجعل
 مكانها حبالاً واتزع تلك البطانين فايح جميع ذلك وادخله بيت المال فبلغ اهل دمشق فاشتد
 عليهم فخرج اليه اشرافهم فيهم خالد العشري فقال لم خالد اتذنبوا لي حتى اكون انا المتكلم
 فاذنوا له فلما اتوا دير سمان (مصيف عمر بن عبد العزيز قرب مدينة حمص وبه قبره معروف

الى الآن) استأذنوا على عمر فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليه فقال له خالد يا امير المؤمنين بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا قال نعم فقال له والله ما ذلك لك يا امير المؤمنين فقال عمر لمن هو لا أمك الكافرة وغضب عمر ثم قال صدقت فما قولك ما ذاك لي قال لانا كنا مشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر واخواننا من اهل العراق نغزو ونفرض الرجل منا على نفسه ان يحمل من ارض الروم قفيزاً بالصنير من فيفساء وهي القصوص او ذراع في ذراع من رخام شملة اهل العراق واهل حلب الى حلب ونستأجر على ما حلوا الى دمشق وتحمل اهل دمشق وما وراءهم الى دمشق فذاك قولي ما ذاك لك فسكت عمر

قال ثم جاءه بريدي من والي مصر يخبره ان قارباً ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم عليهم رجل مقدم يريدون الوفود الى امير المؤمنين فكتب اليه ان وجههم الي وجهه معهم عشرة من المسلمين عليهم رجل مقدم كابهم يحسن الرومية ولا تعلمون بذلك حتى يحملوا الي كلامهم فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم في دخول المسجد الجامع فاذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبلة فكان اول ما استقبلوا المقام ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة فغر رؤوسهم مشياً عليه فحمل الى منزله فاقام ما شاء الله ان يقيم ثم افاق فقالوا له بالرومية ما قصتك صحبتنا في طريقنا هذه ما انكرنا منك شيئاً فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد فقال لانا مشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيلفونها فلذلك اصابني الذي رأيتم فلما قدموا على عمر اخبروه بما سمعوا منه فقال عمر اذا كان مسجد دمشق غيظاً على الكفار دعوه على حاله

وظل الجامع قروناً زاهياً زاهراً الى ان احترق الحريق الاول سنة ٤٦١ وبها ذهب محاسنه وانقضت ايام ازدهائه وعجائبه. وثانيه سنة ٧٤٠ كان الاصل فيه من النصارى بدمشق كما قال ابن مفلح واشتهر ذلك عنهم وكتب عليهم محضر به وضربت اعناقهم ثم حرقوا بالنار وزاد صاحب محاسن الشام ان مأذنة عيسى نقضت وجردت من اموال النصارى لكونهم اثموا يجرى بها باقرار بعضهم واقبت على احسن الاشكال وهذا الحريق عم جميع الجامع وما حوله من الدهستان والرواقات الشرقية والمباني الشرقية وذهبت اموال الناس. وثالث حريق احرق الدهستان وسوق الوراقين والساعات ونصف المعزية من شرقي الجامع الى بيت المقصورة سنة ٧٩٥ ايام الظاهر بقوق ثم اعيد الى ما كان عليه. ورابع حريق جرى سنة ٨٠٣ عند حضور تيمور لك حرق جميعه واحترق المصحف العثماني الموضوع بالمقصورة وجميع ما كان به من

مصاحف وریاضات وکتاب علم وغیرہا واستمر الجامع خراباً الى ولاية شيخ الخاصكي نيابة الشام في شهر سنة ۸۰۵ فشرع في عمارته واعيد الى قريب ما كان عليه وختمها سنة ۸۸۴ ولم اعثر على تاريخ يدل على خراب الجامع او حرقه بعد هذا التاريخ الا ما كان من زلازل سنة ۱۱۷۳ فان قبة السر والرواق الشمالي خربا اذ ذاك واعيد بناؤها من قابل ثم رم في تواريخ عدة حتى اذا كانت سنة ۱۳۱۰ (ربيع الثاني) سرى النار الى رصاص مسطوحه فالتهمها كلها في اقل من ثلاث ساعات ولم يتمكن من اطفائها لعلو السقوف وعدم وجود مضخات تفي بالمقصود فدمر آخر ما بقي من آثاره واثاثه ورياضه وبعض قطع الفسيفساء التي بقيت منذ قرون ولم تعمل بها الكوارث واخص ما حرق بها مصحف كبير مكتوب بالخط الكوفي الجبل على رق الغزال كان يقال انه عثماني ومهما يكن من امره فان عقده يدل على انه من المصاحف التي كتبت في الصدر الاول . وقد هذا المصحف عند العقلاء اصعب من احتراق الجامع وشرع من قابل باعادة بناء الجامع بما لجمع من اعانات الدماشقة بالتبجيل والتبجيل واحياناً بالترغيب والترهيب ومن سكان القرى المجاورة بالجبل والقهر كما هو الشأن في كل اعانة يراد جمعها من الاهلين وما اكثر انواعها في هذه الدنين . ولما رأوا ان هذا الامر يطول وهذه الهبات لا تهمر الجامع اخذوا منذ خمس سنين يتقاضون كل سنة مبلغ ۴۵۰۰ ليرة عثمانية من ضريبة اللحم التي كانت تستعين بها البلدية على اصلاح بعض الطرق والشوارع ولما خربت طرق المدينة تجوز في العام الماضي بناء شطر الحرم الشرقي والهمة منذولة لبناء الشطر الغربي وسينجز بعد سنة . وقد اعيد كل شيء الى حاله السابق

وكان القوم يذهبون الى ان ايجاد سوار من الحجر كالسوارى المخترقة من رابع السخيلات الا ان الامر جاء على عكس ما توهموا فان احد ارباب الصنائع الدماشقة ممن بلغ منزلة الاختراع فيها واسمه عبدالغني الحموي صنع عجلة كبيرة لجر الاثقال والاحجار وآلة لقطع الحجر فاحضرت السوارى من مقاطع المزة وقطننا احسن من القديمة

واتصل بي ان ما اتفق وينفق على اعادة الجامع الى سابق رونقه يبلغ نحو اربعين الف ليرة اخذت كما مر بك من اموال لا تصلح لبناء المساجد في عقل ولا نقل . كنت يوماً اتحدث وصديقا لي في امر هذا المسجد فقال لي تالله لو أشتر الذوي وابن تيمية وابن الصلاح وغيرهم من علماء دمشق العاملين لافنوا بتجريم الصلاة فيه لما يرون من اتخاذ هذه الزخارف الباطلة بما لا يجبي بغير حق وان الاسلام الذي جاء ليأتي على الوثنية عاد الناس اليها في القرون المتأخرة بل تجلت بابهي مظاهرها وتبرعت ببرقع ديني وانتمت بعلامه القرني فقد صرف على المحراب فقط نحو سبعمائة ليرة

نعم دل ذلك على ان في البلاد بقايا صنائع كالنخانة والتجارة والنقش والترخيم الا ان هذه العناية هي اخرى بان تصرف على ما يجدي فائدة محمد لاعلى ما يشبه التائيل والهاكل والنصب في محل التوحيد ولو اتصرت على الضروري من البناء لانقصت اموال طائفة كان يتأقو ان تسيدها مدرسة يختص الناس بها من الجهالة الجهلاء ولكن المشاركة لا يمتقدون النفع فيقتلون في نيله الا فيما كان منه تحت ستار الدين وبامم الآخرة

حقن الادوية في الاوردة

الطرق المعروفة حتى الآن التي تجازها الادوية لتصل الى الدم خمسة وهي اولاً طريق القناة الهضمية وله مدخلان النم والمستقيم فيجناز الادوية المدخل الاول اما شرباً متى كانت سائلة او ازرداداً متى كانت جامدة ولا تجناز المدخل الثاني الا سائلة حقناً ومتى انتهت الادوية الى القناة الهضمية تمتصها هذه وتدخلها الدورة الدموية ثانياً طريق الجلد وذلك بان يدلك الجلد بالمراهم والسوائل الدوائية اللزجة والصبغات وما شاكلها التي تلتصق بالجلد فيمتصها

ثالثاً طريق الجهاز التنفسي الذي تجازه اجزرة بعض الادوية استنشاقاً كالجزرة الزئبق مثلاً في علاج الزمري

رابعاً طريق التسج الجلدي

خامساً طريق العضلات

وهذان الطريقتان الاخيرات تجازها الادوية سائلة حقناً فتمتصها الاوعية اللفاوية التي تحت الجلد وفي العضلات وتحملها العصارة اللفاوية الى القلب

وقد اهتدى الدكتور ابادي (Abadie) الرمدي الفرنسي الشهير الى طريقي سادس وهو طريق الاوردة الذي نزيد الكلام عنه في مقالنا هذه

فطن الدكتور ابادي منذ سنين الى امكان حقن محاليل الادوية في الاوردة غير انه ما زال محجماً عن الاقدام على ذلك متردداً خوفاً من سوء العاقبة حتى اتاه منذ اثنتي عشرة سنة مريض مصاب بالتهاب قرحي زمري حاد يستدعي سرعة العلاج فكف عن اجسامه وتردد ورأى ان يخرج ما في حيز فكرو الى حيز العمل وطهر حقنة برفاس وحقن في الوريد القاعدي بنصف ملثها من محلول معقم من سيانور الزئبق بمعدل 1/1000